الفصل الثالث:

الأسرة الممتدة ودورها في بناء الشخصية المسلمة
نماذج تطبيقية من بيت النبوة

شفاء علي الفقيه[1]

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد امتاز النظام الاجتماعي في الإسلام بالمحافظة على شبكة العلاقات الأسرية، انطلاقاً من الأسرة النواة، ومن ثمّ الأسرة الممتدة أو العائلة الموسعة التي تضم الأعمام والأخوال والعمات والخالات وأبناء العمومة أو الخؤولة، حتى يتشكل المجتمع المسلم الذي تريده الشريعة. ويعدّ وجود الأسرة الممتدة ركيزة أساسية تسهم في تربية المسلم تربية صحيحة من الجوانب السلوكية والفكرية والعلمية...، وتسهم في جعله إنساناً صاحب رسالة، منتمياً لمجتمعه يتحمل مسؤولياته وينهض بها. وقد كان للأسرة الممتدة عموماً دور مستمر في بناء الأفراد وتربيتهم، وغرس القيم فيهم وتوجيههم، وإكسابهم المهارات والمعارف التي يحتاجونها في حياتهم. وهذا التأثير يرتبط بما تقدّمه الأسرة الممتدة لأبنائها من عطف وحنان، ونماذج يمكن الاقتداء بها والتفاعل معها لتسهم في البناء الوجداني والسلوكي والعلمي لشخصياتهم.

ولما كانت الأسرة العربية في جذورها التاريخية أسرة ممتدة ارتبطت بنظام

(١) دكتوراه في الحديث النبوي الشريف، الجامعة الأردنية ٢٠١١م، أستاذ مساعد في جامعة الحدود الشمالية في قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية والآداب/ السعودية. البريد الإلكتروني: shefaalfaqieh@yahoo.com.

العشيرة والقبيلة، جاءت الشريعة الإسلامية فأقرّت هذه المؤسسة الاجتماعية التربوية، ولكن ضمن إطار ديني وقيمي موجه يتفق مع غايات الإسلام وأهدافه السامية. ولكنَّ التغيرات التي طرأت على مجتمعاتنا العربية أثّرت في التماسك الأسري، وأضعفت دور الأسرة الممتدة وتأثيرها في الفرد ونشأته، وتغيّرت على إثرها نظرة العديد من الأفراد لها. ونظراً لأهمية وجودها وأثرها الكبير، الذي يمكن أن تحدثه في حياة الفرد، فقد دفعني هذا للعود إلى بيت النبوة الأول -بيت النبي ﷺ وبيوت أزواجه- في قراءة تاريخية اجتماعية تحليلية، سعيت من خلالها إلى البحث عن تمثّلات للأسرة الممتدة، لأكشف بها عن الأدوار التي قامت بها وأثّرت فيها في الأفراد الذين نشأوا في ظلها، فأعيد من خلال هذه القراءة بناء صورة واقعية طبّقها النبي ﷺ ابتداءً، وقدّم بها نموذجاً حقيقياً واقعياً يؤكد أهمية الأسرة الممتدة ودورها الفاعل في تنشئة الأفراد في مختلف الجوانب.

وجاء هذا البحث للإجابة عن التساؤلات الآتية: ما أثر الأسرة الممتدة في تنشئة الفرد وبناء شخصيته؟ وما أهم النماذج التي ظهر فيها دور الأسرة الممتدة في عصر النبوة؟ وكيف يمكن للأسرة الممتدة أن تؤثر في سلوك الفرد وبناء شخصيته؟ وفي سبيل الإجابة عن هذه التساؤلات رصدت الأهداف الآتية:

- بيان منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في الأسرة الممتدة، وبيان أثر هذا في توجيه الشخصية المسلمة.
- عرض نماذج من تمثلات الأسرة الممتدة في عصر النبوة.
- تحليل أثر الأسرة النبوية الممتدة في أفرادها الذين نشأوا في ظلها.
- استخلاص أهمية الأسرة الممتدة في تنشئة الفرد وبناء شخصيته من النواحي الفكرية والثقافية والدينية.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، واعتمدت منهج الاستقراء الناقص في انتقاء شواهد نبوية من بيت النّبي ﷺ وتتبعها للوصول إلى

تصوّر واضح لنماذج الأسرة الممتدة في بيت النبوة وأثر هذه العلاقة الرحمية في الأفراد الذين نشأوا في ظلها.

أولاً: التعريف بالأسرة الممتدة

تعد الأسرة الممتدة في العصر الحالي نمطاً من أنماط الأسرة وأشكالها؛ إذ إنّ أشكال الأسرة تتنوع إلى صور كثيرة كالأسرة النواة، والأسرة النواة المعيارية، والأسرة ذات الشريك الواحد، وأسر الزواج المتكرر، والأسرة الثنائية. وهذه التقسيمات مبنية على أساس مكونات أفراد الأسرة. وهناك تقسيمات أخرى وضعها علماء الاجتماع لأشكال الأسرة من بينها: الأسرة الثابتة وغير الثابتة، والأسرة الاستبدادية والديمقراطية، والأسرة الكبيرة الممتدة والصغيرة المحدودة.(١)

وتعرف الأسرة في مفهوم الشرع بأنها: "الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً، ويكتسب فيها كثيراً من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه."(٢) أمّا في علم الاجتماع، فتعرّف بأنّها: "رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب، على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة."(٣) وتعرّف تربوياً بأنّها: "الوعاء الاجتماعي الذي يتلقى الطفل، ويتفاعل معها ويشعر بالانتماء إليها."(٤)

---

(١) القصاص، مهدي محمد. **علم الاجتماع العائلي**، المنصورة: عامر للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م، ص٢٣.

(٢) عقلة، محمد. **نظام الأسرة في الإسلام**، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ط٢، ١٩٨٩م، ص٨.

(٣) المرجع السابق، ص١٠.

(٤) الحازمي، خالد بن حامد. **أصول التربية الإسلامية**، الرياض: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣٠٨. نقلاً عن:
- أبو العينين، علي خليل مصطفى. **القيم الإسلامية والتربية**، مكتبة إبراهيم حلبي، ط١، ١٩٨٨م، ص٣٨٧.

وتقسم الأسرة من حيث نطاقها إلى قسمين: الأسرة الضيقة وتضم الزوجين والأولاد فحسب، والأسرة الممتدة وهي التي يتسع إطارها ليعم سائر الأقارب من آباء وإخوة وأعمام. فالأسرة "النواة" أو "الضيقة" تعرّف تربوياً بأنها: "الأسرة التي تتكون من الزوجين وأولادهما المباشرين غير المتزوجين، ويقيمون في سكن مستقل"، وهي أكثر أشكال الأسر انتشاراً في العالم، وتختلف في حجمها؛ فقد تتألف من أب وأم وطفل واحد، بينما تتألف أسرة نواتية أخرى من أب وأم وأكثر من عشرة أطفال.[1] أمّا الأسرة الممتدة فتعرّف عند التربويين: بأنها أسرة تضم الأصول والفروع، وتتكون من الزوجين والأبناء ويزيد عدد أفرادها، مع إمكان انضمام أفراد قربى آخرين، فتنضم إليها زوجات الأبناء وأبناء الأبناء وتضم أيضاً الجدود، وتتميز بكونها تجمع كل أفرادها في مسكن واحد، ويشتركون في الوظائف الأساسية للأسرة، كما أنها لا ترى الأفراد مستقلين من الناحية الاقتصادية بل تتداخل فيها المصادر والموارد وتقسم فيها مسؤوليات الإنفاق.[2]

وينبغي أن ننوه إلى أن هناك تفاوتاً حاصلاً بين بعض علماء الاجتماع في تحديدهم دلالة الأسرة ونطاقها؛ إذ يذهب بعضهم إلى أنها لا تنحصر بين كائنين، بل تشمل كل جماعة ذات وحدة اقتصادية (من حيث السكن وإداراته)، ويذهب آخرون إلى أنها تتسع لتشمل مطلق الأقارب. وفي المفهوم الإسلامي تتكون الأسرة من الأبوين والأبناء بشكل رئيس، وتتجاوز في بعض النطاقات والوظائف إلى الأجداد والأحفاد والأعمام والأخوال

---

(١) شكري، علياء. **الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة**، القاهرة: دار المعارف، ط١، ١٩٧٩م، ص١٧٧.

(٢) أبو عليان، بسام محمد. "أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة اليمنية وأثرها على التحصيل الدراسي لدى الأبناء"، (رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، ٢٠٠٦م)، ص٩٣. انظر أيضاً:
- روشه، خالد. "التربية الأسرية في الإسلام"، على الرابط:
- http://www.almoslim.net/node/132461

ممـن يمكـن أن يتداخلـوا أسـرياً فـي ظواهـر ترتبـط بولايـة الأمـر أو الإرث ونحـو ذلـك.[1] والملاحـظ مـن التعريفـات التربويـة السـابقة أنهـا قيـدت الأسـرة الممتـدة بالسـكن الواحـد المشـترك. ويبـدو أن هـذا شـرط مـن شـروط تعريـف الأسـرة الممتـدة عنـد التربويـن والمتخصصيـن فـي علـم الاجتمـاع، وهـذا أمـر يقيـد مفهـوم الأسـرة الممتـدة، ولا يتفـق مـع مـا ذهـب إليـه الشـرع فـي النظـر إليهـا؛ إذ إنّ اطـلاق لفـظ الممتدة نتيجة لامتداد روابـط الرحـم وعـدم اقتصارهـا علـى العلاقـة الرحميـة بيـن أفـراد الأسـرة النـواة، وإنمـا تمتـد لتشـمل الأصـول والفـروع والحواشـي مـن الإخـوة والأخـوات وأولادهـم، والأعمـام والعمـات وأولادهـم، والأخـوال والخـالات وأولادهـم، سـواء جمعهـم مسـكن واحـد أم لـم يجمعهـم، لأنّ الضابـط هـو توفـر القرابـة ووجـود العلاقـة الرحميـة دون اشـتراط السـكن المشـترك، وهـذا مـا أقـرّه القـرآن الكريـم والسـنة النبويـة، فالقـرآن فـرض حقـوق الرحـم وأوجـب الصلـة بيـن الأرحـام دون النظـر إلـى المسـكن وغيـره مـن العوامـل الماديـة. واشـتراك أفـراد العائلـة الواحـدة فـي مسـكن واحـد أمـر ظهـر فـي بعـض المجتمعـات، نظـراً للظـروف الاجتماعيـة والاقتصاديـة كمـا فـي مجتمعـات الريـف وبعـض المجتمعـات المدنيـة، التـي يضطـر فيهـا الأبنـاء بعـد زواجهـم للإقامـة مـع أسـرهم النـواة نتيجـة الاشـتراك فـي الحرفـة نفسـها أو العمـل، أو بسـبب ضعـف النواحـي الماديـة التـي لا يتمكـن الأفـراد بسـببها مـن الاسـتقلال بمسـكن خـاص بهـم. "والأسـر الممتـدة لا تـزال موجـودة فـي العديـد مـن المجتمعـات العربيـة والشـرقية، ولكـن بتفـاوت مـن مجتمـع لآخـر، ومـا زالـت هنـاك أسـر ممتـدة موجـودة فـي المجتمعـات الريفيـة والمدنيـة والبدويـة، ويعتبـر البعـض أنهـا موجـودة فـي المجتمعـات الريفيـة بصـورة أكبـر منهـا فـي المجتمعـات الحضريـة."[2]

---

(١) البستاني، محمود. **الإسلام وعلم الاجتماع**، بيروت: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ، ص١٨٨-١٨٩.

(٢) أبو عليان، **أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة اليمنية**، مرجع سابق، ص٩٣.

ثانياً: موقف القرآن الكريم والسنة النبوية من الأسرة الممتدة

المتتبع للقرآن الكريم والسنّة النبوية لا يجد أياً منهما تناول الحديث عن الأسرة بهذا اللفظ الصريح، وإنما كان التعبير عن الأسرة الممتدة في القرآن الكريم من خلال دلالات لفظية تضيق وتتسع، وتدور على علاقة القرابة، من مثل القربى والرحم والأهل والعشيرة والرهط.[1] والمتأمل لموقف القرآن الكريم والسنة النبوية يجد أنّ هناك إطاراً شرعياً حدّد به المشرّع حكم إقامة هذه العلاقة الرحمية، ومن ثمّ بيَّن حقوق الأطراف وواجباتهم، ثمّ جاء بضوابط شرعية مهمة تنهى عن استغلال علاقة الرحم والقرابة في غير محلها، وفيما يوقع الناس في الظلم، فكان تناول مصدري التشريع للأسرة الممتدة المتمثلة في القرابة والرحم فيها مؤطراً بالحقوق والواجبات والضوابط، ولم يتركه الشرع لدائرة الاجتهاد والأهواء الخاصة.

١- رعاية الأسرة الممتدة في القرآن الكريم وأثر هذه الرعاية في بناء الفرد:

جاء القرآن الكريم بسلسلة من التوجيهات القويمة -حثَّ من خلالها الأفراد على القيام بحقوق أولي القربى- التي شكّلت منهجاً متكاملاً للعناية بالأسرة الممتدة وتفعيل دورها، وهذا المنهج يسهم بصورة كبيرة في بناء

---

(١) بعض هذه التعبيرات يقصد بها أحياناً: الأسرة النواة أو الزوجة، وفي مواضع تمتد لتتسع إلى دائرة الأقارب، أو العشيرة كما يأتي:

- أهل بيت الرجل: تطلق على الزوجة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ [طه: ١٠]. وقد يراد به الأقارب من العائلة الممتدة كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء: ٣٥]، وقد يراد به الورثة كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النساء: ٩٢].
- التعبيرات الأخرى الدالة على الأسرة الممتدة تناولتها العديد من الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وكما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ [هود: ٩١].

ولمزيد من التفصيل، انظر:

- الحازمي، **أصول التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص٣٠٨.

شخصية الفرد، وتعزيز القيم الأخلاقية والسلوكية التي ينبغي أن يكتسبها نتيجة للتفاعل الاجتماعي بينه وبين أفراد أسرته وأقاربه وأرحامه. ويمكن القول بأن رعاية القرآن الكريم للأسرة الممتدة تتلخص في محاور ثلاثة هي: التأسيس، وبناء العلاقات الأسرية ووظائفها، وبيان الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفراد الأسرة. الأمر الذي يترك أثراً عميقاً في نفس الفرد بأنه جزء حقيقي من أسرته، يؤثر ويتأثر بهم وينفعهم وينفعونه، وقد وضع القرآن الكريم موجهات وضوابط لتوجيه هذه العلاقة بما لا يوقع الفرد في ظلم أو سوء استغلال:

أ- التأسيس:

وذلك من خلال بيان وظائف الأسرة الممتدة وأهميتها في الفرد. فعلى سبيل التمثيل لا الحصر، أشار القرآن الكريم لعدد من وظائف الأسرة الممتدة التي تؤثر في تنشئة الفرد في حياته منها:

- الدعم المعنوي والعاطفي والوجداني، من خلال الأمر بإحسان معاملة ذوي القربى لبعضهم بعضاً؛ إذ قرن القرآن الكريم كثيراً بين الإحسان للوالدين والأقارب واليتامى والمساكين في أكثر من موضع، فقال تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴿٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦]. وعند تطبيق الأفراد لمقتضى الآيات القرآنية بالإحسان فإنّه يعمق حسن الخلق وحسن المعاملة تجاه الوالدين وذوي القربى ابتداءً، وتجاه بالمجتمع انتهاءً.

- تقديم المساندة الاجتماعية لهم بصورها المتعددة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٥]. وهذه الآية الكريمة تأتي بمثابة تشريع عام يشمل مختلف صور الدعم والتكافل

الذي يحتاجه الفرد من دعم مالي بالتوارث وغيره، ومن نصرة ونصيحة وتوجيه، وإنفاق وغيره.[1]

- الإشباع العاطفي الاجتماعي للفرد، من خلال الأمر بالإكرام والأعطيات للتقرب لهم وتقوية العلاقات بهم، حتى لو لم يكونوا فقراء ولكن صلة لهم، وإبقاء لحبل المودة في القربى أن يبقى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ب- ضبط العلاقات بين أفراد العائلة:

من خلال تنظيم الشريعة علاقة الفرد بأسرته الممتدة، وبيان عدد من الحقوق والواجبات التي تؤطّر هذه العلاقة بدائرة من الأحكام التنظيمية، تنعكس على شخصية الفرد وتنشئته وتحمله مسؤوليته الاجتماعية تجاه أسرته، ومن هذه الأحكام:

- "الدية في القتل الخطأ ووجوبها على الأسرة بمعناها الممتد، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۗ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النساء: ٩٢]. وبهذا نجد وجوب التعاون بين الأسرة بمعناها الممتد، فهي تتعاون في غرم الجرائم تدفعه، وفي تعويضها تأخذه."[2] والدارس للحكمة من نظام الدية يجد أن هناك أبعاداً تربوية مهمة تتعلق بتهذيب سلوك الفرد، من خلال استخدام الأسرة الممتدة وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي؛ إذ إنّ الفرد عندما

(١) الزحيلي، وهبة. **تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ، ج١٠، ص٨٧.

(٢) أبو زهرة، محمد. **المعجزة الكبرى القرآن**، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٠م، ص٣٣٧.

يعي أنه إن وقع في جريمةٍ ما فإنّ الأمر سيؤثر في أفراد العائلة الممتدة أو العشيرة وسيحملهم التبعات المادية، فقد يشكل هذا دافعاً لردعه من التسرع والاندفاع تجاه إيذاء الآخرين. ويعد نظام الدية رابطاً يربط الفرد بعائلته لمساندتهم في حال وقع من أحدهم قتل خطأ. وهذا الأمر يُفعّل دور الأسرة الممتدة، ويظهر أهمية وجودها لمساندة الفرد في كل الأحوال.

- تشريع نظام النفقة بين الأقارب: "إنَّ الله أوجب للفقير العاجز عن الكسب نفقة على قريبه الغني، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴿٦١﴾ ﴾ [النور: ٦١]."[1]

- حق الميراث، فقد جاء الإسلام بتشريع عظيم نظّم فيه حقوق أفراد العائلة في الميراث ضمن أحكام واضحة حفظت لكل ذي حق حقه. قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴿١١﴾ ﴾ [النساء: ١١]. يقول محمد أبو زهرة: "في هذه الآيات الكريمات بيّن الله تعالى ميراث الأولاد والأبوين والزوجين، وميراث أولاد الأم، فالكلالة هنا أولاد الأم، كما ذكر النبي ﷺ تطبيقه لأحكام القرآن في الميراث. وهناك كلالة أخرى، وهي كلالة الإخوة والأخوات الشقيقات أو لأب، وقد بيَّنها الله -سبحانه وتعالى- بقوله: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ

(١) المرجع السابق، ص٣٣٨.

يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقال تعالى: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٥]، فإنها كما تدل على المودة بين أولي القربى تدل على أولوية الميراث أيضاً، ولذا اقترن بها قوله تعالى: ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾."[1] ويلاحظ في نظام الميراث هنا أنّ المشرع حرص على توزيع التركة وعدم حصرها في يد فئة معينة من الأقارب، وحرص على أن يكون الميراث للأقرب فالأقرب، لأنَّ العبرة في استحقاق الميراث أن يكون لمن يعد وجوده امتداداً لحياة المتوفَّى، ولكنه لم يحصر الميراث في دائرة الأسرة النواة وإنما فرض للجد والجدة نصيباً، وكذلك الأعمام لهم نصيب في حالات معينة. فأثر نظام الميراث في الفرد كبير؛ إذ إنّه معين للأفراد وداعم لهم.

ت- حرص الإسلام على تفعيل علاقات القرابة والرحم:

بصورة تعود على الفرد والمجتمع بالخير والمنفعة والاستقرار، مع تحذير القرآن الكريم من انحراف هذه الصلة التراحمية بين أفراد العائلة الممتدة إلى وسيلة للظلم والتعدِّي على حقوق الاخرين، أو وسيلة لتحصيل المكاسب المادية دون وجه حق، إن تحوَّلت إلى تعصبٍ أعمى لذوي القربى، مع أن المشرع أمر بها ودعا إليها، وكأني بالمنهج القرآني لما شرّع منظومة الأسرة الممتدة أراد أن تشكّل هذه المنظومة نماذج إيجابية في مجتمعاتها، فلا تكون دائرة العلاقات الممتدة دافعاً للفساد ومسوّغاً للظلم. وهذا ما جاء القرآن الكريم ينهى عنه في مواضع متعددة أذكر منها:

- نهي القرآن الكريم عن كتم الشهادة، وأمر بوجوب الإدلاء بها حتى لو كانت على حساب أحد من ذوي القربى، فلا يجوز للمسلم أن يميل مع ذي القربى في قول الزور والشهادة بغير حق فيقع في محاباة قريبه على

(١) المرجع السابق، ص٣٣٩.

حساب إحقاق الحق وبيان الشهادة، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

- نهت الشريعة عن استغلال هذه العلاقة الأسرية في أكل مال اليتيم، سواء من العم أو الجد، أو أي قريب من الأقارب يكفل يتيماً ذا مال، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ ١٥٢ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. ولم تكتفِ الآيات بالنَّهي عن أكل مال اليتيم، وإنما حذَّرت من أي انحراف عن الحق والعدل بسبب هذه العلاقة؛ لأن إقامة العدل بين الناس مقدَّم على مراعاة صلة القرابة، بل إنها من المحظورات التي تحرم على المسلم؛ إذ إنّ ظلم المسلم لأخيه المسلم تحقيقاً لمصلحة قريب له أمر غير مشروع بحال، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. ثمّ إن القرآن الكريم حذّر من الفشل الأخروي نتيجة للانسياق والسير وراء أفراد معينين من العائلة الممتدة، إن كان لهم تأثير سلبي خطير فيهم، يودي بانحراف في السلوك أو في الإقدام على أي أمر محرَّم بدافع إرضاء ذوي القربى؛ إذ أكد القرآن تحمل كل إنسان نتيجة أعماله التي يقوم بها في الدنيا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ ١٨ ﴾ [فاطر: ١٨]. فالإنسان لن يجد من يتحمل عنه وزر ذنوبه وأحمال خطاياه يوم القيامة، حتى لو كان من الأقارب والأرحام، فكل إنسان بما كسب رهين. ونلاحظ هنا دقّة التعبير القرآني وتخصيصه مسألة القرابة بالذكر، والتصريح بها هو للتنبيه عليها، لئلا تدفع بالفرد نحو المهالك. فكم من علاقات أسرية كانت سبباً في شقاء أفرادها وسلوكهم

مسالك تخالف الشرع. ويؤكد هذا إيقاف قانون النفع والضرر يوم القيامة؛ إذ لا نفع يوم القيامة من الأرحام في حمل الأوزار، فكل نفس محاسبة على ما قدمت، قال تعالى: ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الممتحنة: ٣].

ودعمت الشريعة الإسلامية -بما أقرته من أحكام تشريعية اجتماعية واقتصادية- مكانة الأسرة الممتدة، وأظهرت أهمية وجودها ومساندتها للفرد، فهناك مسؤوليات لا تستطيع الأسرة الممتدة التخلي عنها تجاه أبنائها، وتؤثر في تنشئتهم واستقرارهم النفسي والمادي والاجتماعي، كما أنّ تكامل هذه الأدوار التي أمرت بها الآيات الكريمة يسهم في وجود موجهات أخرى للفرد، لا تقتصر على أفراد الأسرة النواة، وإنما يقوي روابط الفرد بأفراد أسرته، فيصبح وجود الأجداد والأعمام والأخوال في حياته وجوداً فاعلاً.

٢- الأسرة الممتدة في السنة النبوية:

زخرت السنة النبوية بأحاديث كثيرة تضمّنت أحكاماً شرعية متعددة ارتبطت بالأسرة وبالأقارب وبصلة الرحم، ودعت للمحافظة على أواصر العلاقات الأسرية وعلى قوة الأسرة النواة؛ لأنها جزء من الأسرة الممتدة التي يتشكل منها المجتمع المسلم. وقد رسمت هذه الأحاديث النبوية منهجاً متكاملاً للفرد والأسرة للمحافظة على الأسرة الممتدة، ودعم وجودها وتفعيل دورها. ومن الملاحظ أنّ علماء الحديث -ممن صنَّفوا في الحديث الموضوعي- وافقوا في تصنيفهم ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من التعبير عن الأسرة الممتدة من خلال الأحكام البنائية التي شكّلت التصور العام للأسرة الممتدة. فعلى سبيل المثال: تناول الإمام البخاري موضوع الأسرة الممتدة من خلال أبواب صلة الرحم التي ضمّنها كتاب الآداب، فأسس للموضوع بالبدء بالأسرة النواة وحق الوالدين وما يتعلق بهما، ثمّ انتقل إلى فضل صلة الرحم وإثم قاطعها وبسط الرزق لواصلها ووصل الله

تعالى لمن وصل الرحم وقانون صلة الرحم بالحرص على الصلة ما دامت الأسرة موجودة، وتثبيت قاعدة "ليس الواصل بالمكافئ". وكذلك فعل الإمام مسلم، فقد تناول الموضوع من خلال كتاب البر والصلة والآداب وعرض لمجموعة من الأحاديث المتعلقة بصلة الرحم تشابه منهج البخاري في الانتقاء والتخريج والترتيب للأحاديث، وفقاً لتعلقها بصلة الرحم.(١)

لقد عرضت السنة النبوية عدداً من الأحاديث التي أسست لعلاقة القرابة ورغّبت فيها، وأمرت بالمحافظة عليها من خلال وجوب الصلة بها وتحريم قطعها، ومن هذه الأحاديث حديث رسول الله ﷺ "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ،"(٢) وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ "خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ. فَقَالَ لَهَا: مَهْ. قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكِ لَكِ." قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد: ٢٢].(٣) والمتأمل في هذه الأحاديث يرى أنّ النَّبي ﷺ أسس للعلاقة الرحمية الممتدة من خلال استخدام أساليب الترغيب والترهيب، وتحفيز الفرد نحو الاهتمام بعائلته الممتدة وبناء جسور التواصل معها، وربط ذلك ببركة الرزق والعمر، وهما أمران يحرص عليهما كل إنسان، ونماذج هذا كثير في السنة النبوية.

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير ناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، كتاب: الآداب، ج٨، ص٢.

(٢) المرجع السابق، كتاب: البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق، حديث رقم٢٠٦٧، ج٣، ص٥٦.

(٣) المرجع السابق، كتاب: التفسير، باب: (وتقطعوا أرحامكم)، حديث رقم٤٨٣٠، ج٦، ص١٣٤. انظر أيضاً:

- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت.)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم٢٥٥٤، ج٤، ص١٩٨٠.

وينبغي التنويه إلى مسألة مهمة تتعلق بموضوع الأسرة الممتدة وما يرتبط بها من أحكام؛ إذ إنّ الأحاديث التي اختصت بصلة الرحم ليست وحدها الأحاديث التي اعتنت بالأسرة الممتدة، وإنما تعدُّ الأحاديث التي تناولت أحكام النفقات والميراث والديات، والتكافل الاجتماعي، وأحكام الصدقات، وأحكام الوقف، من الأحاديث المتعلقة بالأسرة الممتدة كذلك، بل إنّ هذه الأحاديث هي التي رسمت الصورة التي ينبغي أن تكون عليها الأسرة في الإسلام. وفي هذا دلالة واضحة على حرص الشريعة على الواقع العملي، وعدم الاكتفاء بالتنظير، فالشريعة دعت للتماسك الأسري وصلة الرحم بين أفراد العائلة، ورتّبت العقوبة الشديدة المغلظة على قاطع الرحم بحرمانه من دخول الجنة كما جاء في حديث: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ."[1] ولكنّ الشريعة لم تكتف بهذا، وإنّما أصّلت منهجاً متكاملاً أوجدت فيه الأدوات التي بها تحفظ الأسرة الممتدة وتحقق دورها الفاعل في احتضان الفرد ورعايته وتنشئته. وهذا كله رسّخ لدى الفرد الشعور بالدعم الاجتماعي المتبادل وبحق المجتمع عليه وحقه عليه، فأخرجه من دائرة الأنا والانعزالية إلى دائرة تحمّل المسؤولية الاجتماعية، التي تصوغ شخصية الفرد نحو الإيجابية والتعاون والكرم والبذل والعطاء والتضحية وغيرها من الأخلاق النبيلة المحمودة التي يحصّلها الفرد عند التزامه بمنظومة أحكام الأسرة، التي أمر بها في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثالثاً: أهمية الأسرة الممتدة

١- الأسرة الممتدة وعلاقتها بالأسرة النواة:

يؤكد علماء التربية والمفكرون أنّ للأسرة الممتدة أثراً بالغاً في الفرد من حيث البناء التكويني والنفسي والقيمي والعلمي؛ إذ إنّ وجود الفرد

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب: إثم القاطع، حديث رقم٥٩٨٤، ج٨، ص٥. انظر أيضاً:
- مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم٢٥٥٦، ج٤، ص١٩٨١.

ونشأته في ظل أسرته الممتدة يجعل مصادر التأثير فيه متعددة فلا تقتصر على توجيه الأبوين فقط، بل تتسع وتتعدد. ولا يخفى أنّ التأثير عند بعض نماذج من الأسر يكون سلبياً، ولكن هناك تأثيرات إيجابية لا يمكن إغفالها بحال، وهي ما سنركز حديثنا عليه في هذا البحث، وهذه الجوانب المؤثرة تؤكد البناء المجتمعي المترابط الذي جاءت الشريعة الإسلامية مؤكدة له وتدعمه بأحكامها وتشريعاتها. ومع أهمية الأسرة النواة وارتباطها المباشر بتربية الفرد وتكوينه إلا أن الأسرة الممتدة لها تأثير -أيضاً- في توجيه الفرد ونشأته، فقد يكون دور الأسرة الممتدة مكملاً لدور الأسرة النواة وداعماً لها، وفي حالات قد يكون بديلاً عند غياب الوالدين أو أحدهما لسفر أو وفاة أو لانشغالهما بدراسة أو عمل ونحوه، وهذا ما وقع للنّبي ﷺ؛ فقد نشأ يتيم الأبوين إلا أنه تلقى رعاية وتربية من جده ومن ثم عمه أبي طالب وزوجه، فكانت الأسرة الممتدة هنا بديلاً عن أسرته النواتية؛ أمدته بالتربية والعاطفة والحماية التي احتاجها بعد أنّ حرم من أبويه في سن مبكرة من طفولته.

وقبل الحديث عن وظائف الأسرة الممتدة وأثرها، فإنّه ينبغي أن نذكّر بأنّ مسؤولية التنشئة والتوجيه تقع بالدرجة الأولى على عاتق الأسرة النواة، وخاصة فيما يتعلق باحتياجات الطفل الأولية، لأنّها أساس الإنجاب والتكاثر، وهي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك، والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية.[1] "فالأسرة أول جماعة مرجعية يتفاعل الفرد معها مباشرة لأنها تحتضن الفرد في سنواته الأولى، ومنها تتشكل شخصيته، وتتكون لديه البنى والتراكيب النفسية والاجتماعية، ومنها يتعلم ويكوّن نظام القيم وقواعد السلوك التي تُشكل معايير وأُطراً مرجعية في سلوكه

(١) الوحيدي، سكينة جميل. "العلاقة بين تواصل الأسرة الأردنية ومرونتها وتماسكها من جهة وتمرد المراهقين فيها من جهة أخرى"، (رسالة ماجستير، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، ٢٠٠٦م)، ص٢٣.

وأفعاله."[1] وللأسرة النواة عدد من الوظائف الأساسية التي ينبغي القيام بها تجاه أفرادها، كتوفير مطالب الأسرة الأساسية والهوية لأعضائها عن طريق ربطهم بالدين وبالأمّة والوطن والعشيرة والعائلة، ونقل القيم والتراث والعقائد الدينية، بالإضافة إلى توفير مطالب أفراد الأسرة من النواحي الانفعالية، كتوفير المحبة والاحترام، وإشعارهم بالأمان والانتماء للأسرة، وطمأنتهم لدى الخوف، وتوفير ما تستطيع الأسرة تقديمه من سعادة وفرح وتسلية مع توفير الفرص لأبنائها للنمو تربوياً واجتماعياً، والاهتمام بتعليمهم وتنميتهم معرفياً، وتطوير مهاراتهم الاجتماعية والمعرفية، وتوفير الأدوات والوسائل لذلك.[2] والمتأمل في هذه الوظائف يجد أنّ جزءاً منها يتحقق من خلال الأسرة الممتدة حيثما وجدت، كنقل التراث والقيم، وتوفير المحبة والاحترام وشعور الفرد بالاستقرار، وتقديم الدعم العاطفي والوجداني، بالإضافة إلى أنّ وجود العائلة الممتدة يسهم في تطوير المهارات الاجتماعية والمعرفية من خلال تواصل الأفراد مع أقاربهم من العائلة كالأجداد والأعمام والأخوال، وهناك تأثر بالمستوى المعرفي والعلمي لأفراد العائلة؛ إذ إن هناك علاقة قوية بين توجهات الأفراد العلمية والمهنية وطبيعة المستويات العلمية والمعرفية المتوفرة في إطار العائلة.

واقتصار نشأة الأفراد في ظل أسرة نواتية دون الممتدة قد يكون له بعض السلبيات؛ منها: عدم تعامل الأطفال مع أنماط مختلفة من الناس ومنهم كبار السن وأصحاب الشخصيات المختلفة، كما أنهم لا يتعلمون مهارات مختلفة من

---

(١) البداينة، ذياب موسى وآخرون. "العلاقة بين الخصائص الشخصية الأسرية لدى طلاب الجامعة أثناء الطفولة وأشكال العنف الأسري"، **المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مج٢٤، عدد٤٨، ١٤٣٠هـ، ص٨٦.

(٢) الأعرجي، زهير، **النظام العائلي ودور الأسرة في البناء الاجتماعي الإسلامي دراسة مقارنة في النظرية الاجتماعية**، ط١، ١٤١٥هـ، ص١٨، والكتاب منشور على الشبكة العنكبوتية على الرابط:
- http://www.al-aaraji.com/microsoft_word_family_1.doc.pdf

وانظر أيضاً:

- البداينة، **العلاقة بين الخصائص الشخصية الأسرية**، مرجع سابق، ص٩.

الناس والآخرين، فهم لا يعيشون مع أقاربهم في المكان نفسه، وكذلك لا تكون الأسر مترابطة في حالة الأزمات نتيجة لوجود حالة من التفرد والاعتداد بالنفس لدى الزوجين.[1] في حين أن وجود الأسرة الممتدة يؤثر التنشئة الاجتماعية للطفل من مختلف الجوانب، ويزيد من تماسك الأسرة النواة، لأنه يملي على الزوجين الأخذ بالحسبان أهمية العائلة الممتدة وأهمية المحافظة عليها من خلال وجود تشاركية في أخذ القرارات الحاسمة والهامة خاصة في حالات النزاع والخصام التي تقع بين الزوجين، وهذا ما أكّدْ القرآن الكريم، فعلى سبيل المثال: جَعْل التحكيم مرحلة أخيرة قبل وقوع الشقاق وسيلة من وسائل حل النزاع بين الزوجين عند فشل الوسائل الأولى التي دعا لها للإصلاح، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء: ٣٥]. وفي جَعْل الحكمين من أهل الزوجين. وفي هذا تأكيد واضح من القرآن الكريم على أهمية دور الأسرة الممتدة ورعايتها لأبنائها، والإسهام في حل أدق مشكلاتها، فعندما يكون الحكمان من أقارب الزوجين فهذا أدعى لوجود الحرص منهما على المحافظة على عرى الحياة الزوجية ومؤسستهما من التفكك والدمار، لأنهما سيكونان حريصين على بقاء استقرار الأسر النواتية التي تتشكل منها العائلة الممتدة بما يخدم مصلحة الزوجين ومصلحة أطفالهما.

٢- الأسرة الممتدة ودورها في تنشئة الفرد وتربيته:

تعد الأسرة أحد أهم المؤسسات الاجتماعية المسؤولة عن تنشئة الفرد وصياغة شخصيته وتنمية مهاراته، فبناء جوهر الإنسان الداخلي المتمثل في تحديد شخصية الإنسان واتجاهاته يرتبط بأسلوب التنشئة الاجتماعية ونمطها، الذي يتلقاه الطفل في أسرته، فالشخصية تشكيل ثقافي تتحدد طبيعته بطبيعة

(١) الجرواني، هالة إبراهيم. والمشرفي، انشراح إبراهيم. **التنشئة الاجتماعية ومشكلات الطفولة**، منشور على موقع جامعة أم القرى، ص٣٢.

الحاضن الثقافي الذي ينشأ الطفل في رعايته، وطبيعة الشخصية الإنسانية مرهونة إلى حد كبير بطبيعة ومستوى الوسط الاجتماعي الذي ينشأ فيه.[1] ولما كانت التنشئة الاجتماعية بمثابة عملية تشكيل وإعداد أفراد إنسانيين في أي مجتمع وفي أي زمان ومكان، ولما كانت الأسرة النواة والممتدة تشكلان المرحلة الأولى من حياة الأفراد، كان لوجودهما أهمية وأثر في اكتساب المهارات والقيم والاتجاهات، وأنماط السلوك المختلفة التي تيسّر لهم عملية التعامل مع البيئة الاجتماعية المنشئة للأفراد. ولذا، فإنّ تنشئة الطفل في ظل أسرة ممتدة -يتفاعل معها- يؤثر في تنشئته الاجتماعية، ويؤثر في أصول التربية التي يتلقاها من خلال الاحتكاك بأقاربه، سواء أكانوا مقيمين معه أو من خلال فرص الالتقاء بهم والتواصل معهم، وهذا الأمر يسهم في تربية الطفل على الآداب الاجتماعية التي تلتزم بها الأسرة، ويسهم في تطور الجانب الاجتماعي لدى الطفل من خلال تواصله مع أقاربه، بالإضافة إلى أنّه يسهم في تحسين الجانب اللغوي، والجانب المعرفي بانتقال العديد من الخبرات الاجتماعية من أقاربه إليه، ودليل ذلك أنّ هناك اختلافاً بين نشأة الطفل في ظل أسرة نواتية ونشأته في ظل أسرة ممتدة؛ إذ إنّ الطفل قد يتأثر بأقاربه من مختلف النواحي أكثر من تأثره بأبويه في بعض الأحيان، ويعتمد هذا على مدى ملازمتهم والجلوس معهم وعلى طبيعة العلاقات الأسرية التي تجمع بين أفراد الأسرة.

ومن أكثر الجوانب التي تظهر أهمية الأسرة الممتدة هو تقديم الأسرة الممتدة للمساندة العلمية والمعرفية من خلال طبيعة التربية والتوجيه التي يتلقاهما الفرد، وهذا الأمر تجلى بصورة واضحة في التاريخ الإسلامي من خلال توارث العلم داخل الأسر الممتدة، إذ إن سِيَر العلماء والسلف الصالح قدَّمت العديد من هذه النماذج التي تؤكد أهمية الأسرة الممتدة في حياة علمائها، والأثر العظيم الذي أحدثه التواصل الفعّال بين أفرادها بدءاً من عهد النبوة وانتهاءً بأيامنا الحالية؛

(١) الجرواني، والمشرفي، **التنشئة الاجتماعية ومشكلات الطفولة**، مرجع سابق، ص٧ (بتصرف واختصار).

إذ إن التنشئة الاجتماعية للفرد في ظل أسرة تتميز بمستواها العلمي الذي يترك أثراً حقيقياً في الفرد من النواحي الدينية والفكرية والثقافية. ونذكر على سبيل التمثيل قصة سهل بن عبد الله التَستَرِي (٢٠٠-٢٨٣هـ) -وهو أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السنيّ- مع خاله محمد بن سَوار، الذي كان سبباً في صلاحه وتوجيهه وحسن تربيته؛ إذ قال: "قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت له: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي.. الله ناظر إلي.. الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته. فقال: قلها في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته. فقال: قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي حلاوة، فلمّا كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سِرّي. ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل، من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده.. يعصيه؟! إياك والمعصية. فكان ذلك أول أمره." وروي أنّ عمره كان إذ ذاك ثلاث سنين فما فوقها."[1]

ولم يقتصر أثر الأسرة في الجانب التربوي والديني، وإنما كان له أثر واضح في البناء العلمي ونقل العلوم والمعارف؛ إذ إن الترابط الأسري وعلاقة الأبناء بالأجداد والأعمام والأخوال والعمات والخالات كان وسيلة تيسر على الأفراد طلب العلم وتلقي شتى أصناف العلوم والمعارف في دائرة العائلة الواحدة. وهذا الأمر ظهر بجلاء ووضوح من خلال الأسر العريقة التي ضلعت في مجالات العلوم المختلفة؛ إذ أثبتت قوة تأثيرها في أفرادها. وقد بقيت الأسرة الممتدة محتفظة بمكانتها وأثرها ردحاً كبيراً من الزمن، عرفت آثارها من خلال ما أطلق عليه بعض العلماء "بيوتات العلم" التي كانت تسهم في صياغة الفرد وتربيته وصناعته علمياً وفكريا وثقافياً. ومن أهم الشواهد على هذا الجانب

(١) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٧٨م، ج٢، ص٤٢٩.

العظيم في أثر الأسرة الممتدة: رواية الحديث النبوي الشريف في إطار العائلة النواة والممتدة، فكثير من رواة السنة النبوية منذ عصر الصحابة والتابعين روى عنهم أقاربهم وأحفادهم، وحرصوا على السماع منهم وتلقي العلم عنهم قبل تلقيه من غيرهم. والأمثلة على ذلك كثيرة في كتب تراجم الرجال والتاريخ الإسلامي وكتب الجرح والتعديل. وأكتفي بالإشارة إلى مثال عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية التي كان لها أثر كبير في أسرتها من الناحية العلمية والمعرفية والتربوية، فعمرة هي: "عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة بن عدس، الأنصارية النجّارية المدنية، تربية عائشة وتلميذتها، وهي أحد الثلاثة الذين يؤخذ عنهم علم عائشة -رضي الله عنها-، وقد كانت عالمة فقيهة حجة كثيرة العلم، حدَّث عنها ولدها أبو الرجال محمد بن عبد الرحمن، وابناه: حارثة ومالك، وابن أختها القاضي أبو بكر بن حزم وابناه عبد الله ومحمد."[1] ونلحظ هنا احتفاء واضحاً بعمرة؛ إذ الرواية لم تقتصر على نطاق الأبناء وإنما امتدت للأحفاد وابني الأخت، وفي هذا مؤشرات مهمة تؤكد مدى تأثر أفراد عائلة عمرة بنت عبد الرحمن بعلمها وفقهها، وحرصهم على التلقي عنها، وهذا دليل على اشتغالهم بالعلم وبالحديث، وهذه ثمرة عظيمة من ثمار الأسرة الممتدة، لأنه لولا هذا الترابط الاجتماعي المتين لم يكن هذا التواصل المعرفي والعلمي بين أفراد العائلة الواحدة، كما أنّ لهذا التوارث العلمي ارتباطاً بتربية الأفراد وتوجيه سلوكهم وترسيخ القيم الدينية في نفوسهم، ودليل ذلك الأخلاق الرفيعة التي شهد بها العلماء لأفراد عائلة عمرة بنت عبد الرحمن.

وقد استمر أثر الأسرة الممتدة في أفرادها في المجتمعات الإسلامية لقرون متعددة أدَّت إلى نتائج إيجابية على المجتمع المسلم والأفراد، لأنّ سمات أفراد العائلة واهتماماتهم تنتقل في معظم الأحيان إلى الأبناء تبعاً للتماسك الأسري للعائلة ونبوغ أفراد العائلة في المجالات العلمية والمعرفية، وما يشهد لهذا

(١) الذهبي، محمد بن أحمد. **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٩٩٣م، ج٤، ص٥٠٧.

obeikan.com

التأثير انتشار ما عرف في التاريخ الإسلامي بـ"بيوتات العلم" -كما أسلفنا- كبيت: ابن عساكر والذهبي وابن تيمية وآل الغزي وآل العطار في الشام، وكذلك في مصر كعائلة العز بن عبد السلام، وعائلة ابن مرزوق التلمساني في المغرب الأوسط، وغيرها من العائلات التي تناقل فيها الأبناء تركة الأجداد من علم ومعرفة ساهمت في حفظ علوم الأمة وثقافتها وفكرها، فقدمت نماذج إيجابية للأسر والعائلات حافظ أفرادها على إرثهم الثقافي والفكري والعلمي، الأمر الذي يدلل على أهمية الأسرة الممتدة وتأثيرها الإيجابي في أبنائها بحسب توجهات أفراد العائلة واهتماماتهم.(١) ولكنّ هذه النماذج الرفيعة التي قدّمها التاريخ سبق بها بيت النبي ﷺ من خلال ما بناه ﷺ، وهذا ما سأتناوله بالتفصيل فيما يأتي.

رابعاً: نماذج من تمثلات الأسرة الممتدة في بيت النبوة

١- أثر الأسرة الممتدة في حياة النبي ﷺ:

قدمت لنا سيرة النبي ﷺ نماذج متعددة تظهر أهمية الأسرة ودورها في مساندة الفرد، وقد نشأ النبي ﷺ يتيماً، وهذا ما أكَّده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الضحى: ٦]، فقد ولد ﷺ يتيم الأب، فكفله جده وهو تحت رعاية أمّه آمنة بنت وهب، وعندما بلغ السادسة توفيت أمه فرعاه جده عبد المطلب بمكة،(٢) وقد كان له شأن عند جده، فكان يقربه منه ويدنيه ولا يدع أحداً يؤذيه، كما حدث معه ﷺ عندما أرادوا منعه من الجلوس على

(١) من المؤلفات التي رصدت للعديد من هذه النماذج الأسرية لبيوت العلم:
- العجمي، محمد بن ناصر. **آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل**، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٩م.
- عزوز، محمد. **جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث**، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٤م.
- عزوز، محمد. **بيوتات الحديث في دمشق**، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٤م.

(٢) أحمد، مهدي رزق الله. **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، الرياض: الرشد العلمية، ط٣، ٢٠١٢م، ص٩١-٩٢.

مفرش جده عبد المطلب في الحجر، فمنعهم من اعتراض ما يريدون، وهذه القصة رواها الأزرقي في أخبار مكة بسنده فقال: "فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ غُلَامٌ يَدْرِجُ لِيَجْلِسَ عَلَى الْمَفْرَشِ، فَجَذَبُوهُ فَبَكَى، فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ -وَذَلِكَ بَعْدَ مَا حُجِبَ بَصَرُهُ-: مَا لِابْنِي يَبْكِي؟ قَالُوا لَهُ: إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى الْمَفْرَشِ فَمَنَعُوهُ، فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: دَعُوا ابْنِي فَإِنَّهُ يَحُسُّ بِشَرَفٍ أَرْجُو أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الشَّرَفِ مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَطُّ."[1] فنشأ رسول الله ﷺ في ظل رعاية أسرية من جده الذي كفله حتى الثامنة من عمره، ومن ثمّ عمّه الذي قدّم له العطف والحنان والرعاية بعد وفاة جده. وقد ساهمت هذه التنشئة للنبي ﷺ في تحقيق المساندة الاجتماعية له من جانبين؛ الأول: تقديم التربية والعون وتوفير الحياة الأسرية له من خلال فاطمة بنت أسد بن هاشم -رضي الله عنها- زوج أبي طالب[2] عمّ النبي ﷺ. فالمساندة والتقدير الذي حظي بهما -صلوات الله عليه وسلامه- لم يقتصر على عمه فحسب وإنما تعدَّى إلى زوجه -رضي الله عنها- التي تربط بينها وبين النبي ﷺ صلة قرابة أيضاً، فكانت له أماً بعد أمه تقوم على شؤونه وترعى أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وقد قضى النّبي ﷺ قرابة عقدين من حياته في كنفها، وليست هذه بالمدة اليسيرة، وإنما تمثَّل فترة مهمة في حياته ونشأته ﷺ قد يكون من أهم نتائجها استجابة فاطمة بنت أسد لدعوة الإسلام، وقد أصبحت من المؤمنات السابقات، وصارت من صفوة النَّساء ممن أخذن المكانة العليا؛ إذ كانت من المهاجرات الأول.[3] والجانب الثاني في المساندة

(١) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله الغساني المكي. **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، بيروت: دار الأندلس، ج١، ص٣١٤-٣١٥. وإسناد الرواية حسن.

(٢) انظر ترجمتها:
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي البجاوي، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م، ج٤، ص١٨٩١.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م، ج٧، ص٢١٢.

(٣) الصلابي، علي محمد. **سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، القاهرة: المكتبة الإسلامية، ط١، ٢٠١٠م، ص٣٧.

هو تقديم الحماية والنصرة والدعم له ﷺ من خلال عمه أبي طالب؛ فعندما أعلن رسول الله ﷺ الدعوة إلى الله تعالى وصدع بها، وقف عمه أبو طالب بجانبه وصمّم على مناصرته وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش غمّاً وحسداً ومكراً، وقد وصل الأمر بأن ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد ﷺ من خلال استخدام نفوذه وزعامته لبني هاشم، فقد جمع بني هاشم وبني المطلب -مسلمهم ومشركهم على السواء- إليه في حلف واحد على الحياة والموت دفاعاً عنه ﷺ[1] والشاهد هنا: هو الترابط الأسري الذي كان له دور داعم ومساند للنبي ﷺ، وهذه المساندة التي قدّمها عمُّ النَّبي له ﷺ ساهمت في دعمه وثباته ومواجهته لأهل مكة، وكان لها دور في هيبة جانبه وتجنّب إيذائه أو التعدي عليه، ولولا ذلك لطال النبيَّ ﷺ أذىً عظيم من قريش لا قبل له به.

ونموذج العلاقة الأسرية التي نمت وتقوّت بين النَّبي ﷺ وبيت عمه أبي طالب نموذج تظهر فيه جوانب إيجابية لأهمية الأسرة الممتدة ومدى دعمها لأفرادها، حتى وإن لم تكتمل هذه العلاقة بإسلام عم النّبي ﷺ على الرغم من المحاولات العديدة التي قام بها النبي ﷺ مع عمَّه، إلا أنّه لم يستجب له، في حين استجاب للدعوة معظم أبناء عمه أبي طالب بالإضافة إلى زوجه، فقد دخل إلى الإسلام من أولاد أبي طالب: عقيل وجعفر وأم هانئ وجمانة وعلي ﷺ، في حين توفي طالب بن أبي طالب بعد غزوة بدر ولم يدخل في الإسلام.[2]

٢- دور النبي ﷺ في دعم أسرته الممتدة ورعاية أفرادها:

لما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بتبليغ الدعوة للأقربين في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، حرص النّبي ﷺ على رعاية أفراد أسرته من أقاربه وأبناء عمومته بالتربية والتوجيه والرعاية والنصح والتعليم، وفي هذا تأكيد على تطبيقه للوصية التي أوصى بها الرجل الذي سأله ﷺ: " من أحق

(١) المرجع السابق، ص٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦-٢٧.

الناس بحسن الصحبة؟ فقال له: أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك".[1] فقد شرع رسول الله ﷺ برعاية أقاربه ما أمكنه ذلك. ومن أقاربه الذين كان لهم حظ وافر بالرعاية والتنشئة والتوجيه الصحابيان الجليلان علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- ابنا عمومته ﷺ، وهما نموذجان نخصص الحديث عنهما فيما يلي:

- أما علي بن أبي طالب، فلقد كان لتنشئته في بيت النَّبي ﷺ أثرٌ كبير فيه، فقد تربى على يديه وفي كنفه، وهذا ما ترك أثراً كبيراً في علي ﷺ؛ إذ إنه من أوائل من دخل إلى الإسلام، ومن أوائل من قدَّم روحه فداءً للنبي ﷺ عندما أمر بالهجرة إلى المدينة المنورة، فقَبِل علي أن ينام في فراش رسول الله ﷺ. وقد كان السبب في ضمّ علي ﷺ للنبي ﷺ أن أبا طالب كان كثير العيال، فتربى علي وترعرع على يد النَّبي ﷺ، فكانت هذه مما أنعم الله به على علي ﷺ، وهذا ما راوه ابن إسحاق في سيرته: "كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللّهِ عَلَى عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمِمّا صَنَعَ اللّهُ لَهُ وَأَرَادَهُ بِهِ مِنْ الْخَيْرِ أَنّ قُرَيْشاً أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لِلْعَبّاسِ عَمّهِ -وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ-: يَا عَبّاسُ إنّ أَخَاك أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ وَقَدْ أَصَابَ النّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ فَانْطَلِقْ بِنَا إلَيْهِ فَلْنُخَفّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ، آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلاً وَتَأْخُذُ أَنْتَ رَجُلاً، فَنَكْفُلُهُمَا عَنْهُ. فَقَالَ الْعَبّاسُ: نَعَمْ. فَانْطَلَقَا حَتّى أَتَيَا أَبَا طَالِبٍ، فَقَالَا لَهُ: إنّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفّفَ عَنْك مِنْ عِيَالِك حَتّى يَنْكَشِفَ عَنْ النّاسِ مَا هُمْ فِيهِ. فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ: إذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلاً فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا. فَأَخَذَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلِيّا فَضَمّهُ إلَيْهِ، وَأَخَذَ الْعَبّاسُ جَعْفَراً فَضَمّهُ إلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ عَلِيّ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ حَتّى بَعَثَهُ اللّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- نَبِيّا، فَاتّبَعَهُ عَلِيّ t وَآمَنَ بِهِ وَصَدّقَهُ، وَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرٌ عِنْدَ الْعَبّاسِ حَتّى أَسْلَمَ وَاسْتَغْنَى عَنْهُ."[2] والرواية التي ذكرها ابن هشام في سيرته

(١) مسلم، **صحيح مسلم**. مرجع سابق، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنهما أحق به، ج٤، حديث رقم٢٥٤٨، ص١٩٧٤.

(٢) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. **السيرة النبوية**، جدة: مؤسسة علوم القرآن، (د. ت.)، ج١، ص٢٤٥.

تدل دلالة صريحة وواضحة أن النبي ﷺ ضمّ علياً إليه وهو في سن مبكرة من طفولته قدرها بعضهم بالسادسة، وضمه إليه يعني: إقامته في بيته وتلقيه الرعاية منه ﷺ في بيت النبوة، وهذا الأثر يعد شاهداً على نشأة علي في بيت النبي ﷺ، فالروايات تواترت على نشأت علي ذلك. ومن الملاحظ هنا أنّ طلب النبي ﷺ من عمه التخفيف عنه في شؤون تربية أبنائه لاقى قبول أبي طالب، وهذا يوضح جانباً من واجبات صلة الرحم بين أفراد الأسرة الممتدة في التحمّل عن بعضهم بعضاً، والوقوف إلى جانب بعضهم في أوقات الشدة، وهذا ما قام به النّبي ﷺ. "ولقد أسهمت تربية النبي ﷺ لعلي ﷺ في حسن تربيته وتوجيهه، حيث عصمته من عبادة الأوثان وترك عادات الجاهلية التي كانت عند العرب، فتربى ﷺ على الفضيلة وأخلاق القرآن الكريم ومعرفة الإسلام في مرحلة مبكرة من حياته، وذلك قبل أن تتخطى الدعوة حدود البيت وتنطلق إلى البحث عن أنصار يشدون أزرها، فقد كان إسلامه وهو صبي حديث السن."[1]

ولم يكن علي ﷺ الوحيد الذي ربي ونشأ في بيت النبي ﷺ؛ فقد نشأ زيد بن حارثة في حجر خديجة بنت خويلد، ونشأ غيره أيضاً في بيت النبي ﷺ وروايات السيرة تؤكد هذا.[2]

- وأمّا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ (البحر، حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير) فقد ولد بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين؛ أي: إنّ عمره كان عند وفاة النبي ﷺ أربعة عشر عاماً.[3] ومع قصر السنوات التي لازم بها ابن عباس -رضي الله عنهما- النبي ﷺ إلا أنّه حرص على ملازمته

(١) الصلابي، **سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، مرجع سابق، ص٤٣ (باختصار).

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٣) انظر ترجمته في:
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري. **الطبقات الكبرى**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٦٨م، ج٣، ص٣٣١.
- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٣١.

ومرافقته ﷺ في كل حال في سبيل التلقي والتعلم. وقد ساهمت قرابته بميمونة بنت الحارث (وهي خالته) في تهيئة مزيد من الفرص للتربية والملازمة للنَّبي ﷺ، فقد كان لهذه العلاقة القرابية دور في تلقي العلم وإيجاد فرص الصحبة والمرافقة للنبي ﷺ خاصة في الأوقات التي يكون فيها النّبي ﷺ عند خالته ميمونة ليتعلم منه ويراقب عباداته ﷺ. ودليل ذلك حديث ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– قَالَ: "بِتُّ عِنْدَ خَالَتِى مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَقَامَ النَّبِىُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ فِى بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ النَّبِىُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءاً خَفِيفاً [...] وَقَامَ يُصَلِّى، فَتَوَضَّأْتُ نَحْواً مِمَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ –وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ عَنْ شِمَالِهِ– فَحَوَّلَنِى فَجَعَلَنِى عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ..."[1] ويظهر من الحديث حرصٌ واضح من ابن عباس للتعلم من النبي ﷺ من خلال حرصه على المبيت معه في بيت خالته، كما يظهر لنا متابعة النبي ﷺ لابن عمه وتقويم سلوكه عندما حوله من يساره إلى يمينه لتعليمه أصول صلاة الجماعة. يقول خالد محمد خالد: "تلقى ابن عباس في حداثته كل خامات الرجولة، ومبادئ حياته من رسول الله ﷺ الذي كان يؤثره، ويزكيه، ويعلّمه الحكمة الخالصة."[2]

ونستطيع أن نستخلص جوانب التربية التي رعاها النّبي ﷺ في أبناء عمومته علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ﷺ؛ إذ إنّ هذه الرعاية التي تلقوها أسهمت في التربية العقدية الإيمانية والعبادية والخلقية والفكرية والعلمية، وغيرها؛ فقد ظهرت الرعاية المادية من خلال تكفل النبي ﷺ لابن عمه علي بن أبي طالب تخفيفاً عن والده. وأمّا التربية الروحية، فإنّ تعليم الرسول ﷺ لعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس –رضي الله عنهما وأرضاهما– أصول الإيمان رسخ فيهما النواحي الروحية، ومن الشواهد على ذلك حديث ابن عباس ﷺ ووصية النَّبي ﷺ له وهو غلام حدث السن، والحديث نصه: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الوضوء، باب: التخفيف في الوضوء، حديث رقم١٣٨، ج١، ص٤٠.

(٢) خالد، محمد. **رجال حول الرسول**، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م، ص٣٩٢.

قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَقَالَ: يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ."[1] يظهر من الحديث صحبة النّبي ﷺ لابن عباس واصطحابه معه في السفر والحضر، الأمر الذي يزيد القرب النفسي وتقدير الذات، خاصة وأن رسول الله ﷺ أركبه خلفه، وهذه لفتة وجدانية مهمة لابن عباس ﷺ، يضيف إليها النبي ﷺ تعليمه وتأديبه وتوجيهه ليغرس الإيمان وحسن التوكل على ربه في قلبه وهو صغير السن غضّ العمر. ولم تقتصر رعاية النّبي ﷺ على هذه الجوانب، وإنما قدم ﷺ التربية الوجدانية والنفسية لهما، ومثالها قوله ﷺ لِعَلِيٍّ: "أَنْتَ مِنِّى وَأَنَا مِنْكَ." وَقَالَ عُمَرُ: تُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهْوَ عَنْهُ رَاضٍ.[2]

وأمّا التربية الاجتماعية وتنمية المهارات، فقد فتح النبي ﷺ بيته لأبناء عمومته وعكف على رعايتهم وتوجيههم وإشراكهم في الدعوة، وكان يحمّل الواحد منهم المسؤوليات العديدة التي تسهم في بناء الشخصية وتنمية المهارات الفكرية والعقلية والاجتماعية، ومثال ذلك أنّ النبي ﷺ بعث علياً ﷺ وهو حديث السن إلى اليمن قاضياً، فكان في هذا مسؤولية كبيرة حمّلها النبي ﷺ لعلي، أراد منها أن يؤهل ابن عمه وينمي مهاراته الاجتماعية وقدرته على القضاء والحكم بين الناس؛ والحديث يرويه علي

(١) الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ٥٩، ج٤، حديث رقم٢٥١٦، ص٢٤٨. والحديث حسن صحيح. وأخرجه:
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: الرسالة، ١٩٩٩م، ج٤، حديث رقم٢٧٦٣، ص٤٨٧.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الصلح، كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، حديث رقم٢٦٩٩، ج١٠، ص٢٠.

ﷺ قائلاً: "بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله، ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء؟ فقال: "إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء" قال: فما زلت قاضياً أو ما شككت في قضاء بعد."[1]

وأمّا التربية العلمية، فهي جانب مهم ظهر في تربية النبي ﷺ لأبناء عمومته الذين احتضنهم في بيته وفي مسجده وفي رحلاته وغزواته، فقدّم لهم التربية والرعاية والتوجيه. فعلي بن أبي طالب أوتي قدراً من العلم كبيراً ومعرفة بكتاب الله تعالى ما أخذها إلا لأنه كان من أوائل من شهد الوحي ولازم المصطفى منذ طفولته في بيته وفي حله وترحاله، وإن فاته شيء مما نزل ما كان ليتردد في السؤال عن نزوله وعن سبب نزوله، قال علي ﷺ: "والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، وإن ربي وهب لي قلباً عَقولاً، ولساناً ناطقاً."[2] وقالت عنه عائشة –رضي الله عنها–: "أما إنه أعلم من بقي بالسنة."[3] وكذلك دعاؤه ﷺ لابن عباس بالعلم والحكمة، "فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَمَّنِى النَّبِىُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ "اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ."[4] وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أيضاً قال: "إِنَّ النَّبِىَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءاً، فَقَالَ: "مَنْ وَضَعَ هَذَا"، فَأُخْبِرَ. فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّينِ."[5] وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أنه قال أيضاً: "إِنَّ رَسُولَ

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين، بيروت: دار الفكر، (د. ت.)، كتاب: الأقضية، باب: كيف القضاء، ج٢، حديث رقم٣٥٨٢، ص٣٢٥.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج١، ص٢٣٨.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٢٣٩.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل ابن عباس، حديث رقم٣٧٥٦، ج٥، ص٢٧.

(٥) المرجع السابق، كتاب: الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء، حديث رقم١٤٣.

اللَّه ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي أَوْ قال: عَلَى مَنْكِبِي -شَكَّ سَعِيدٌ- ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ."[1]

ففي هذه الأحاديث، يظهر الجانب الأبوي التربوي للنبي ﷺ في ابن عباس؛ إذ إنه في الموقف الأول يحرص على ضم ابن عباس إلى صدره ضمة أشعرته بالحب والود وقربه منه ﷺ، ثم لم يكتف ﷺ بذلك وإنما أخذ يدعو له على مسمعه ليؤكد محبة الخير له، وقد تكرر هذا الدعاء لابن عباس مرتين.[2] وفي الموقف الثاني، نجده -صلوات الله وسلامه عليه- يحرص على الثناء على حسن فعل ابن عباس وعلى فهمه لما فعله من إحضار الماء وتهيئته لوضوئه ﷺ دون أن يطلب منه ذلك، فزاد على ذلك بالدعاء له بالفقه في الدين، وهذا ما تحقق لابن عباس رضي الله عنه. وعلى هذا الموقف يعلق خالد محمد خالد فيقول: "لقد عرف ابن عباس طريق حياته في أوليات أيامه وازداد بها معرفة عندما رأى الرسول ﷺ يدنيه منه وهو طفل، ويربّت على كتفه وهو يقول: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل." ثم توالت المناسبات والفرص التي يكرر فيها الرسول ﷺ هذا الدعاء ذاته لابن عمه عبد الله بن عباس، وآنئذ، أدرك ابن عباس أنه خلق للعلم والمعرفة، وكان استعداده العقلي يدفعه في هذا الطريق دفعاً قوياً. فمع أنه لم يكن قد جاوز الثالثة عشرة من عمره يوم مات رسول الله ﷺ، إلا أنه لم يصنع من طفولته الواعية يوماً دون أن يشهد مجالس الرسول ويحفظ عنه ما يقول."[3]

---

(١) ابن حنبل، **المسند**، مرجع سابق، ج٤، حديث رقم٢٣٩٧، ص٢٢٥. قال شعيب الأرنؤوط: الحديث إسناده قوي.

(٢) لفظ الحديث: "عن ابن عباس: قال دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الحكمة مرتين"، انظر: - النسائي، أحمد بن شعيب. **السنن الكبرى**، بيروت: دار الكتب العلمية، تحقيق: عبد الغفار البنداري وآخرون، ط١، ١٩٩١م، كتاب: المناقب، باب: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب حبر الأمة، حديث رقم٨١٧٨، ج٥، ص٥٢.

(٣) خالد، **رجال حول الرسول**، مرجع سابق، ص٣٩٢.

إنّ المتأمل لنصوص السيرة النبوية المتعلقة بعلي بن أبي طالب وابن عباس -رضي الله عنهما- يرى أن توجيهات النبي ﷺ وتربيته لأبناء عمومته تناسبت معهم بحسب الغاية والدور المأمول لكل منهم مستقبلاً، فقد حرص النّبي ﷺ على تنمية جوانب القيادة والمسؤولية عند علي بن أبي طالب، بالإضافة إلى تسليمه ﷺ الراية في خيبر،(١) وتأميره على المدينة في غزوة تبوك.(٢) وحرصه على توجيه ابن عباس إلى الاهتمام بتأويل القرآن الكريم والحرص على العلم. ويظهر هذا بوضوح أنّ رعاية النبي ﷺ لعلي وابن عباس -رضي الله عنهما- تعد نموذجاً يوضح أثر رعاية الأسرة الممتدة لأبنائها، على الرغم من اختلاف صورة العلاقة داخل الأسرة؛ فعلي بن أبي طالب نشأ في بيت رسول الله ﷺ، في حين أن ابن عباس لم يكن مقيماً في بيته وإنّما كان ملازماً له ﷺ في أوقات كثيرة، ومع ذلك استطاع النبي ﷺ أن يوظف صلة الرحم التي تجمعه بهما لما يعود عليهما بالخير الوفير، وهذان النموذجان يؤكدان ضرورة الحرص على ذوي القربى بالرعاية والعناية.

٣- جهود السيدة عائشة -رضي الله عنها- في دعم الأسرة الممتدة ورعاية أفرادها:

كان للأسرة الممتدة أثر عميق وكبير في نشر علوم الشريعة والسنة النبوية، وهذا الأمر نشأ في بيت النبوة أول ما نشأ؛ إذ إن الترابط الأسري وامتداده ساهم في انتشار العلم من خلال رواية الأقارب عن بعضهم بعضاً، ويعد بيت عائشة -رضي الله عنها- بنت الصديق مثالاً جلياً يُظهر أهمية الأسرة الممتدة ودورها في تنشئة الفرد وإمداده بالعلوم والمعارف خاصة إذا كان في إطار عائلة من أوتي قدراً من المعرفة والعلم كالسيدة عائشة. فليس بالضرورة أن يكون امتداد

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب، حديث رقم٣٧٠٢، ٣٧٠٦.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب، ج٤، حديث رقم٢٤٠٤، ص١٨٧٠.

العلم وحمله على يد الأبناء من الصلب وحسب فيكونوا هم من يخلفون الأب أو الأم في وراثة العلم وأصوله، وإنما الدائرة أوسع من ذلك بكثير، فوجود الأسرة الممتدة يهيئ لأفرادها فرص نيل المعرفة من أقاربهم بصورة قوية، خاصة مع دوام وجودهم والاتصال والسماع المباشر منهم. وهذا ما توفر لأبناء السيدة أسماء بنت أبي بكر ﷺ وهم: عبد الله ومصعب وعروة وجعفر،[1] الذين كانوا حريصين على أخذ العلم عن خالتهم عائشة -رضي الله عنها-، وهي التي لم ترزق بأبناء-، فكانت علاقتها مع أبناء أختها علاقة متميزة ساهمت في دعمهم علمياً وتربوياً وانتقال الإرث العلمي منها إليهم، وكذلك الحال بالنسبة لأبناء إخوتها (محمد وعبد الرحمن) ابني أبي بكر الصديق ﷺ، فقد روى عنها الحديث أبناء أخيها: عبد الله والقاسم ابنا محمد، وعبد الله بن أبي عتيق، ومحمد ابن أخيها عبد الرحمن. وفيما يأتي توضيح لذلك:[2]

أ- أبناء أختها أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- عبد الله وعروة:

أما عبد الله بن الزبير ﷺ فكان كبيراً في العلم والشرف والجهاد والعبادة، وكان من صغار الصحابة في السن، وكان ملازماً للولوج على رسول الله لكونه من آله، فكان يتردد إلى بيت خالته عائشة -رضي الله عنها- ويأخذ عنها العلم، وقد روى عنه الإمام أحمد بن حنبل بضعة وثلاثين حديثاً عن النبي ﷺ.[3] وروى عن عدد من الصحابة وعن جده لأمّه (أبي بكر الصديق) ﷺ، وروى عن أمه أسماء وعن خالته عائشة عدداً من الأحاديث.[4] وقد كان هذا الاهتمام العلمي سمة واضحة المعالم وأثراً بارزاً لبيت الصديق وأحفاده، فعبد الله نفسه يروي

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج١، ص٤٢.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص١٣٧.

(٣) المرجع السابق، ج٣، ص٣٦٣.

(٤) المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن. **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م، ج١٣، ص٣٠٨-٣١٢. (فقد أورد أحاديثه عن خالته السيدة عائشة -رضي الله عنها-).

عنه الحديث والعلم ابناه عامر وعباد وابن أخيه محمد بن عروة بن الزبير،[١] وحرص أولاده على تتبع خطى والدهم في تلقي العلم عن خالة أبيهم السيدة عائشة، فروى عنها ابنه عباد بن عبد الله بن الزبير وهو إمام كبير من أئمة القضاء والفقه، نهل العلم عن والده وعن جدته أسماء وعن خالة أبيه عائشة.[٢]

وأمّا عروة بن الزبير، فهو أحد الفقهاء السبعة وعالم المدينة، وهو من التابعين، وقد ولد للسيدة أسماء بنت أبي بكر بعد عشرين سنة من مولد عبد الله بن الزبير ﷺ. وقد نشأ عروة في كنف خالته عائشة ولازمها لأجل علمها،[٣] فكان ينهل منها الحديث والفقه والشعر وسائر ما تعلمته، وكان تأثره بها تأثراً بليغاً اكتسب به الفصاحة والبلاغة والبيان. وكان تحصيل العلم أمنيته التي رويت عنه في القصة التي جمعت بينه وبين عبد الملك بن مروان وأخويه عبد الله ومصعب في المسجد الحرام، فذكر كل منهم أمنيته، "وقال عروة: لست في شيء مما أنتم فيه، منيتي الزهد في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة، وأن أكون ممن يروى عنه هذا العلم."[٤] ولذا، حرص على ملازمة خالته عائشة على وجه الخصوص لأخذ العلم عنها، فكان أكثر إخوته رواية عنها -رضي الله عنها-، بل كان أكثر مَن روى عنها الحديث، وقد أورد المزي أحاديثه عن عائشة -رضي الله عنها- وقد زادت على ألف ونيف،[٥] ويذكر أن أحاديث السيدة عائشة بلغت ألفين ومئتين وعشرة أحاديث.[٦] ومما يدل على هذه الميزة التي امتاز بها عروة بن الزبير ما رواه الإمام الزهري عن قبيصة بن ذؤيب، قال: "كنا في خلافة

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٦٤. (ترجمة عبدالله بن الزبير).

(٢) المرجع السابق، ج٤، ص٢١٧.

(٣) المرجع السابق، ج٤، ص٤٢١، (ترجمة عروة بن حواري رسول الله ﷺ).

(٤) ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٥٨.

(٥) انظر أحاديثه التي أورد طرقها المزي، في كتابه:
- المزي، **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٥٠ ولغاية ج١٤، ص٢٧.

(٦) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٩.

معاوية [...] نجتمع في حلقة بالمسجد بالليل أنا ومصعب وعروة ابنا الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن وعبد الملك بن مروان [...]، وكنا نتفرق بالنهار، فكنت أنا أجالس زيد بن ثابت وهو مترأس بالمدينة في القضاء [...]، ثم كنت أنا وأبو بكر بن عبد الرحمن نجالس أبا هريرة، وكان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة."[1] وقوله: "وكان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة" يدل دلالة واضحة على أنّ صلة القرابة التي جمعت بين عروة بن الزبير والسيدة عائشة كان لها دور مهم في سهولة التلقي عنها وتهيئة السماع له منها في كل وقت، ومن دون حرج أو مانع، في حين أن هذا الأمر لم يتهيأ لبقية أقرانه ممن كانوا يطمحون في أخذ العلم عن زوج النبي ﷺ.

وقد استمرت ملازمة عروة لخالته ما يقارب ثلاثة عقود من الزمان؛ فعروة ولد بحسب أقوال المؤرخين سنة ثلاث وعشرين للهجرة، والسيدة عائشة -رضي الله عنها- توفيت سنة ثمان وخمسين للهجرة. "قال هشام عن أبيه: ما ماتت عائشة حتى تركتها قبل ذلك بثلاث سنين". وروي عنه أنه قال: "لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج، وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته."[2] وهذه الآثار دلت على أن فترة ملازمة عروة لخالته عائشة كانت فترة طويلة، ولم يتركها إلا قبل ثلاث سنوات من وفاتها -رضي الله عنها-.

وسعة علم عروة يعد دليلاً واضحاً على أثر علاقة القرابة التي أسهمت في نقل علم السيدة عائشة إليه، فقد تهيأت له الظروف الكاملة لملازمتها وسماعها وأخذ العلم عنها. وهذا ما شهد به العلماء له، فقد روي عن سفيان بن عيينة قوله: "أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم وعروة وعمرة."[3] وقد قيل له فيما قيل: "ما أرواك يا أبا عبد الله! -وكان أروى النّاس للشعر-، فقال: وما

(١) المرجع السابق، ج٤، ص٤٢٤.

(٢) المرجع السابق، ج٤، ص٤٢٤.

(٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٥، ص٥٦.

روايتي من رواية عائشة -رضي الله عنها-؟! ما كان ينزل بها شيءٌ إلا أنشدت فيه شعراً."[1] وفي ذلك يروي عنه ابنه هشام بن عروة فيقول: "كان عروة يقول لعائشة: يا أمتاه، لا أعجب من فهمك؛ أقول: زوجة رسول الله ﷺ وبنت أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب، كيف هو ومن أين هو؟ قال: فضربت على منكبه، وقالت: أي عرية! إنّ رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره -أو في آخر عمره- فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات، وكنت أعالجها له فتعلمت ذلك."[2]

ب- ابن أخيها القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه:[3]

ولد القاسم في خلافة علي بن أبي طالب، "وقد كان ثقة عالماً رفيعاً فقيهاً إماماً ورعاً كثير الحديث". ربي في حجر عمته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وتفقّه منها، وأكثر الرواية عنها، فكان من الثلاثة الذين يؤخذ عنهم علم عائشة. ويروي القاسم عن نفسه قائلاً: "كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وإلى أن ماتت، وكنت ملازماً لها..."[4] ونلاحظ من سيرة القاسم بن محمد أن عامل القرابة كان سببا رئيساً في تمكنه من ملازمة عمته التي لم تبخل عليه بعلمها وفقهها، ويبدو أن بيت السيدة عائشة -رضي الله عنها- كان بيت علم وتلمذة هيأ الله به

(١) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله. **تاريخ دمشق**، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٩٨م، ج١١، ص٤٢٦.

(٢) ابن حنبل، **المسند**، مرجع سابق، ج٤، ص٤٤١.

(٣) انظر ترجمته في:
- ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق، ج٥، ص١٨٧.
- ابن خليفة، ابن خياط أبو عمر الليثي العصفري. **الطبقات**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرياض: دار طيبة، ط٢، ١٩٨٢م، ص٢٤٤.

(٤) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٥، ص٥٥.

الظروف لنشر الفقه والحديث والعلم ولينتفع المسلمون به أيما انتفاع. لقد قدّمت السيدة عائشة -رضي الله عنها- نموذجاً ناجحاً يظهر أثر الأسرة الممتدة وأهمية القرابة في التنشئة والتوجيه والبناء الفكري والعلمي؛ إذ لولا هذه القرابة التي جمعت بينها وبين أبناء أختها أسماء وأبناء أخيها ما تهيأت لهم فرصة الملازمة والتلقي والتربية.

وأختم كلامي بشاهد يدل على حرص السيدة عائشة -رضي الله عنها- على التوجيه، فقد قال ابن أخيها عبد الله بن أَبِي عَتِيقٍ: "تَحَدَّثْتُ أَنَا وَالْقَاسِمُ عِنْدَ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- حَدِيثاً، وَكَانَ الْقَاسِمُ رَجُلاً لَحَّانَةً، وَكَانَ لِأُمِّ وَلَدٍ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: مَا لَكَ لَا تَحَدَّثُ كَمَا يَتَحَدَّثُ ابْنُ أَخِي هَذَا؟! أَمَا إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أُتِيتَ. هَذَا أَدَّبَتْهُ أُمُّهُ وَأَنْتَ أَدَّبَتْكَ أُمُّكَ. قَالَ: فَغَضِبَ الْقَاسِمُ، وَأَضَبَّ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَأَى مَائِدَةَ عَائِشَةَ قَدْ أُتِيَ بِهَا قَامَ، قَالَتْ: أَيْنَ؟ قَالَ: أُصَلِّي. قَالَتْ: اجْلِسْ. قَالَ: إِنِّي أُصَلِّي. قَالَتْ: اجْلِسْ غُدَرُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ."[1] ويتضح في الحديث البعد التربوي في الملاحظة والتوجيه، وتصحيح السيدة عائشة -رضي الله عنها- للسلوكات، حتى وإن كان في ذلك قسوة على ابن أخيها القاسم بن محمد، ولكن الهدف كان تربيته وتقويم لسانه حتى يرتقي مدارج العلماء، وهذا ما تحصَّل له بعد ملازمته لعمته التي كان لها تأثير كبير فيه، فنهضت به ليصبح ممن يؤخذ عنه علمها ويتخلص من جوانب الضعف التي ألمت به بسبب نشأته في طفولته وتأثره بلسان أمه.[2]

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعة الأخبثان، ج١، حديث رقم٥٦٠، ص٣٩٣.

(٢) قال ابن سعد: "أمه أم ولد يقال لها: سودة"، ولعل هذا سبب من أسباب تربيته عند عمته السيدة عائشة -رضي الله عنها-، انظر:
- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٥، ص٥٥.

خاتمة:

هدفت هذه الورقة إلى بيان أهميّة الأسرة الممتدة في تنشئة الفرد وبناء شخصيته من النواحي الفكرية والثقافية والدينية؛ من خلال بيان منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في رعاية الأسرة، وتوضيح العلاقة بينها وبين الأسرة النواتية، ثمّ عرض نماذج من تمثلات الأسرة الممتدة في بيت النبوة. وقد أثبتت الدراسة أن للأسرة الممتدة أثراً كبيراً في تنشئة الأفراد وتربيتهم والارتقاء بهم من النواحي القيمية والتربوية والعلمية، التي ظهرت من خلال الآتي:

- حرص منهج القرآن الكريم والسنة النبوية على تفعيل دور الأسرة الممتدة تجاه أفرادها من خلال مجموعة من الأحكام الشرعية والتكليفات المادية والاجتماعية التي تسهم في تقوية علاقة الفرد بأسرته الممتدة -إن طبقت بصورة متكاملة- من خلال نظام المساندة الاجتماعي والمادي والعلمي الذي تستطيع الأسرة تقديمه.
- هناك ارتباط وثيق بين الأسرة النواة والأسرة الممتدة لا يمكن إغفاله، فالأسرة الممتدة قد تكون داعمة ومعينة أو بديلة عن الأسرة النواة. وهذه الأدوار تسهم في حفظ أفراد المجتمع من الضياع والتشرد عند غياب وجود الأسرة النواة.
- استطاعت سيرة النّبي ﷺ مع أفراد عائلته، وسيرة أزواجه -رضي الله عنهن- تقديم نماذج ممكنة التطبيق في واقعنا المعاصر، يعيد للأسرة الممتدة مكانتها بكونها مؤسسة تربوية داعمة لها دورها.
- نشأة الأفراد في ظل أسرة ممتدة -كما حصل مع علي بن أبي طالب وابن عباس وعروة بن الزبير وغيرهم- أسهم في تنوع خبراتهم الاجتماعية واكتسابهم مهارات معرفية وسلوكية ما كانت للوفر لهم لو أنهم نشأوا في إطار أسرهم النواتية بعيداً عن رعاية النبي ﷺ لهم.

obeikan.com

- إثارة وعي الأفراد بأهمية شعورهم بالمسؤولية الاجتماعية المتبادلة تجاه ذوي القربى، اقتداءً بما فعل النبي ﷺ وبخاصة العلماء منهم؛ إذ ينبغي للعلماء الاقتداء بالنبي ﷺ في تخصيص نصيب لذوي القربى في الرعاية والتربية والتوجيه لأحقيتهم، وهو ما فعله ﷺ.
- توعية المرأة بأهمية دورها في تفعيل دور الأسرة الممتدة، وتقوية روابط الرحم وصلة القرابة، وتقديم الرعاية الممكنة لأفراد الأسرة بقدر استطاعتها وعلمها.
- عدم قصر حقوق ذوي القربى أو أفراد العائلة الممتدة على النواحي المادية، بل ينبغي تعدّي ذلك إلى وجود الدعم المعنوي والمساندة العلمية والتربوية.

وقد خرجت من هذه الورقة بجملة من التصورات حول إمكانية تفعيل دور الأسرة الممتدة، كالآتي:

- العمل على تغيير قناعات أفراد المجتمع عن أهمية دور الأسرة الممتدة بكونها مؤسسة اجتماعية يقع على عاتقها دور حقيقي تضطلع به، ينبغي إعادة تفعيله لتكون مؤسسة مساندة في المجتمع، الأمر الذي يملي على أفراد المجتمع بشرائحه المختلفة -كلٌ في موقعه- التفكير في كيفية إعادة هذا الدور الهام للأسرة الممتدة.
- تحذير الأفراد من تبعات إضعاف دور الأسرة الممتدة الذي نشأ عنه إضعاف مستمر لدور الأسرة النواة؛ إذ إن تغييب دورها وعدم فاعليتها ألقى بأعباء جسيمة على الأسرة النواة، نجم عنه حالة الضعف الحالي الذي تعاني منه الأسر في التربية والتوجيه ومواجهة تحديات العصر، وضعف انتماء الفرد لأسرته ومن ثمّ لمجتمعه.
- إيجاد آليات تعمل على تقوية روابط الرحم، وتهيئ للأفراد مناخاً صحياً، وفرص احتكاك موجّهة -وليست عشوائية- بينهم وبين أقاربهم، كالاتفاق

على إيجاد حلقات دروس أسبوعية لأفراد العائلة، أو ممارسة نشاطات مشتركة بينهم، وعدم قصر اللقاءات والزيارات على المجاملات الاجتماعية المعتادة.

- تبنّي أفراد العائلة الواحدة مبدأ المشاركة الفاعلة الإيجابية، من خلال تبادل الخبرات المتنوعة سواء أكانت علمية أم عملية، لما في هذا من صلة للرحم وإعطاء ذوي القربى حقهم.

ومن التوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة الآتي:

- الحاجة إلى وجود قراءة متكاملة لمنهج القرآن الكريم والسُنّة النَّبوية في بناء الأسرة الممتدة، ودراسة أثر هذا المنهج في تنشئة الفرد ورعايته، في سبيل تقديم التصور الصحيح والأمثل للدور الذي ينبغي أن تقوم به الأسرة الممتدة.
- تتبع المزيد من أمثلة ونماذج العلاقات الأسرية التي نشأت في بيت النبوة، واستخلاص رؤية تطبيقية للعلاقات الأسرية الناجحة.
- إيلاء موضوع الأسرة الممتدة مزيد اهتمام من التربويين والمتخصصين، فالدراسات المتخصصة في هذا الموضوع شحيحة.

openkan.com